إلهامات من القرآن

سورة الأعلى



إختصار وإعداد :قدرى جاد

إهداء للأستاذ: صفوت جيلاني

تفسير تفسير القرآن/ التستري (ت 283 هـ) *

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ * ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ *
* وَٱلَّذِىۤ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ * سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ *
* إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ * وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ *
* فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلأَشْقَى *
* ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ * ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ *
* وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا *
* وَٱلآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ *
* إِنَّ هَـٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ *

***

{ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ }

قوله تعالى: { سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ } [1]

قال: هو تنزيه عن الأضداد والأنداد.

في الظاهر، وفي الباطن مشاهدته بالذكر في الصلاة دون مشاهدة غيره .

تفسير حقائق التفسير/ السلمي (ت 412 هـ) *

{ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ }

قال بعضهم: نزِّه اسم ربك فى تسبيحك له

وقال نزه لسانك بعد ذكرك ربك عن لغوٍ وكذب.

تفسير لطائف الإشارات / القشيري (ت 465 هـ) *

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ } * { ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ } * { وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ } * { وَٱلَّذِيۤ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ } * { فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ }

قوله جلّ ذكره: { سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ }

أي سَبِّحْ ربَّك بمعرفة أسمائه، واسبح بسِرِّك في بحار عَلائه، واستخرِجْ من جواهر عُلوِّه وسِنائه ما ترصِّعُ به عِقْدَ مَدْحِه وثنائه.

{ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ }

خَلق كلَّ ذي روحٍ فسوَّى أجزاءَه، ورَكَّبَ أعضاءَه على ما خَصّه به من النَظم العجيب والتركيب البديع .

{ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ }

أي قدَّر ما خَلَقَه، فجَعَلَه على مقدار ما أراده، وهدى كلَّ حيوانٍ إلى ما فيه رشده من المنافع، فيأخذ ما يُصْلِحه ويترك ما يضره - بحُكم الإلهام

ويقال: هَدَى قلوبَ الغافلين إلى طلب الدنيا فعمروها، وهدى قلوبَ العابدين

إلى طلب العقبى فآثروها، وهدى قلوبَ الزاهدين إلى فناء الدنيا فرفضوها، وهدى قلوبَ العلماءِ إلى النظر في آياته والاستدلال بمصنوعاته

فعرفوا تلك الآيات ولازموها.

وهدى قلوبَ المريدين إلى عِزِّ وَصْفِه فآثروه، واستفرغوا جُهْدَهم فطلبوه، وهدى العارفين إلى قُدْس نعتِه فراقبوه ثم شاهدوه، وهدى الموحِّدين

إلى علاء سلطانه في توحد كبريائه فتركوا ما سواه وهجروه،

وخرجوا عن كلِّ مألوفٍ لهم ومعهود حتى قصدوه فلمّا ارتقوا عن حدِّ البرهان

ثم عن حدِّ البيان ثم عمَّا كالعيان عَلِموا أنَّه عزيزٌ، وأنَّه وراءَ كلِّ فَصْلٍ ووَصْلٍ، فرجعوا إلى مواطنِ العَجْزِ فتوسَّدوه.

{ وَٱلَّذِيۤ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ }

أي النبات

{ فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ }

جعله هشيماً كالغثاء، وهو الذي يقذفه السيل و " أحوى " أسود .

تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن/ البقلي (ت 606 هـ *

{ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ }

أي نزه إسمه بإسمه عن أن يكون له سمياً من العرش إلى الثرى

حتى يكون بقدس إسمه مقدساً عن رؤية الأغيار ويصل بقدس إسمه

إلى رؤية قدس الصفات ثم إلى رؤية قدس الذات بدأ بتنزيه الإسم

رفقاً به بأن لا يضمحل الله في سبحات الصفات وتجلي الذات

قال بعضهم نزه لسانك بعد ذكرك ربك عن لغو وكذب.

قال الحريري :أي فرق أوهام الخلق عن كل ما يتوهمون إذا العرش حجاب.

تفسير تفسير القرآن / ابن عربي (ت 638 هـ) *

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ * ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ *
وَٱلَّذِيۤ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ

{ سبِّح اسم ربّك الأعلى } إسمه الأعلى والأعظم هو الذات مع جميع الصفات،

أي: نزّه ذاتك بالتجرّد عما سوى الحق وقطع النظر عن الغير..

ليظهر عليها الكمالات الحقانية بأسرها، وهو تسبيحه الخاص به في مقام الفناء لأن الاستعداد التام القابل لجميع الصفات الإلهية لم يكن إلا له،

فذاته هو الإسم الأعلى عند بلوغ كماله ولكل شيء تسبيح خاص يسبح به

إسماً خاصاً من أسماء ربّه { الذي خلق } أنشأ ظاهرك { فسوّى }

أي: عدل بنيتك على وجه قبلت بمزاجه الخاص الروح الأتم المستعدّ لجميع الكمالات { والذي قدّر } فيك الكمال النوعي التام { فهدى } إلى إبرازه وإظهاره وإخراجه إلى الفعل بالتزكية والتصفية

{ والذي أخرج المرعى } أي: زينة الحياة الدنيا ومنافعها ومآكلها ومشاربها

فإنها مرعى النفس الحيوانية ومرتع بهائم القوى { فجعله غثاء أحوى }

أي: سريع الفناء وشيك الزوال كالهشيم والحطام البالي المسودّ فلا تلتفت إليه

ولا تشتغل به فيمنعك عن تسبيحك الخاص من تنزيه ذاتك وتجريدها

فتحتجب به عن كمالك المقدّر فيك ولا تعد عيناك عنه إليه،

فإنه الفاني وذلك هو الباقي أبداً لا يزال.

تفسير روح البيان في تفسير القرآن/ اسماعيل حقي (ت 1127 هـ) *

{ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ }

سبح إسم ربك الأعلى التسبيح التنزيه وإسم الله لا يصح أن يطلق عليه بالنظر

إلى ذاته أو باعتبار من صفاته السلبية كالقدوس أو الثبوتية كالعليم

أو باعتبار فعل من أفعاله كالخالق ولكنها توقيفية عند بعض العلماء وقد سبق.
والأعلى صفة للرب ويجوز أن يكون صفة للإسم والأول أظهر.

ومعنى علوه تعالى أن يعلو عن أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين.
ومعنى أعلويته أن له الزيادة المطلقة فى العلو. قال بعضهم:

ليس علوه علوجهة ولا كبره كبر جثة سبحانه عن ذلك.

بل علو استحقاق لنعوت الجلال والكبرياء فمن عرف علوه وكبرياءه

تواضع وتذلل بين يديه عباده الصالحين ، والمعنى نزه إسمه عن الإلحاد فيه
بالتأويلات الزآئغة نحو أن يجعل الأعلى من العلو فى المكان لا من العلو فى الكمال
وأن يؤخذ الاستوآء بمعنى الإستقرار لا بمعنى الاستيلاء

وكذا نزهه عن إطلاقه على غيره بوجه يُشعَر بتشاركهما فيه ..كان يسمى

الصنم والوثن بالرب والإله ومنه تسمية العرب مسيلمة الكذاب

برحمان اليمامة.

وكذا نزهه عن ذكره لأعلى وجه الإعظام والإجلال ويدخل فيه أن يذكر إسمه عند التثاؤب وحال الغائط وكذا بالغفلة وعدم الوقوف على معناه وحقيقته ، ومنه اكثار القسم بذكر إسمه من غير مبالاة .

وقال جرير: فى الآية إرفع صوتك بذكره أى بذكر إسمه فان ذكر المدلول

إنما هو بذكر الإسم الدال عليه فظهر من هذا التقرير أن الإسم غير مُقحم.

وقال بعضهم : الإسم والمسمى هنا واحد إى نزه ذاته

عما يدخل فى الوهم والخيال.

وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام:

" اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال"

اجعلوها فى سجودكم " وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت

وفى السجود اللهم لك سجدت وفى الحديث دلالة على أن لفظ الإسم مقحم قاله سعدى المفتى وعلى أن الامتثال بالامر يحصل بأن يقول سبحان ربى الأعلى ، فإن قوله سبح أمر بالتسبيح فلا بد وأن يذكر ذلك التسبيح..

وما هو إلاقول سبحان ربى الأعلى.. ومثله سبحان ربك العزة فإن معناه

نزه ربك رب العزة فيحصل الإمتثال بأن يقول سبحان ربنا رب العزة..

على معنى تنزه ربنا رب العزة، وقس على ذلك سائر المواقع المأمور بها

وسر اختصاص سبحان ربى العظيم بالركوع والأعلى بالسجود:

أن الأول إشارة إلى مرتبة الحيوان ، والثانى إشارة إلى مرتبة النبات والجماد،

فلا بد من الترقى فى التنزيه وكان عليه السلام وجيوشه إذا علوا الثنايا كبروا..

وإذا هبطوا سجدوا فوضعت الصلاة على ذلك .

قال حضرة الشيخ صدر الدين القونوى قُدس سره فى شرح الحديث:

إعلم أن الرفعة والإرتفاع استعلاء، وأنه من التكبر فإن كان الإستعلاء ظاهراً.

فهو صورة من صور التكبر وإن كان باطنا فهو معنى التكبر، ولما كان الكبرياء لله وحده وكان فى الصعود على الثنايا ضرب من الإستعلاء موجود وشبيه به أيضا. لذلك يوهم الإشتراك وأما الأمر بالتسبيح فى الهبوط

فهو من أجل سر المعية المشار اليها بقوله تعالى:

"هو معكم أينما كنتم " فإذا آمنا أنه معنا أينما كنا فحال كوننا فى هبوط

يكون معنا وهو يتنزه عن التحت والهبوط.. لأنه سبحانه فوق التحت

كما أنه فوق الفوق ونسبة الجهات إليه على السوآء.. لنزاهته

عن التقيد بالجهات وإحاطته بها فلهذا شرع التكبير فى الصعود

والتسبيح فى الهبوط على الوجه المنبه عليه إنتهى.

***

وأول من قال سبحان ربى الأعلى ميكائيل عليه السلام وذلك أنه خطر بباله عظمة الرب تعالى فقال يا رب أعطنى قوة حتى أنظر إلى عظمتك وسلطانك فأعطاه قوة أهل السموات فطار خمسة آلاف سنة حتى احترق جناحه

من نور العرش ثم سأل القوة فأعطاه قوة ضعف ذلك وجعل يطير

ويرتفع عشرة آلاف سنة حتى احترق جناحه وصار فى آخره كالفرخ

ورأى الحجاب والعرش على حاله فخر ساجداً وقال :سبحان ربى الأعلى

ثم سأل ربه أن يعيده الى مكانه وإلى حالته الأولى.

ذكره أبو الليث فى تفسيره .وقال النبى عليه السلام " يا جبرآئيل أخبرنى

عن ثواب من قال سبحان ربى الأعلى فى صلاته او فى غير صلاته

فقال :يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها..

فى سجوده أو فى غير سجوده إلا كانت له فى ميزانه أثقل من العرش والكرسى وجبال الدنيا ويقول الله :صدق عبدى أنا الأعلى وفوق كل شئ وليس فوقى شئ، اشهدوا يا ملائكتى انى قد غفرت لعبدى وأدخلته جنتى، فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحة فيوقفه بين يدي الله

فيقول يا رب شفعنى فيه فيقول قد شفعتك فيه إذهب به إلى الجنة.

ذكره ابن الشيخ فى حواشيه.

***

وفى الحديث " سبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السموات والأرض"

أى لإشتمال هاتين الكلمتين على كمال الثناء والتعريف

بالصفات الذاتية والفعلية الظاهرة الآثار فى السموات والأرض وما بينهما .

وقال القاشانى: إسمه الأعلى والأعظم هو الذات مع جميع الصفات

أى نزه ذاتك بالتجرد عما سوى الحق وقطع النظر عن الغير ليظهر عليها الكمالات الحقانية بأسرها وهو تسبيحه الخاص به فى مقام الفناء

لأن الإستعداد التام القابل لجميع الصفات الإلهية لم يكن إلا له

فذاته هو الإسم الأعلى عند بلوغ كماله ولكل شئ تسبيح خاص

يسبح به إسما خالصا من أسماء ربه.

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ ابن عجيبة (ت 1224 هـ) *

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ * ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ *
وَٱلَّذِيۤ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ * سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ *

* إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ * وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ *

يقول الحق جلّ جلاله: { سَبّح اسمَ ربك } أي: نزّه اسمه تعالى عن الإلحاد فيه، بالتأويلات الزائغة، وعن إطلاقه على غيره بوجهٍ يوجب الاشتراك في معناه،

فلا يُسمى به صنم ولا وثن ولا شيء مما سواه تعالى،

قال تعالى:{ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً } [مريم:65] فلا يُقال لغيره تعالى: رب وإله،

وإذا كان أَمَر بتنزيه اللفظ فتنزيه الذات أحرى، أو: نزّه إسمه عن ذكره

لا على وجه الإجلال والإعظام، أو: نزّه ذاته المقدَّسة عما لا يليق بها،

فيكون " إسم " صلة و " الأعلى " صفة لرب، وهو الأظهر وعُلوه تعالى

: قهريته واقتداره، أو: تعاليه عن سمة الحدوث وعن مدارك العقول،

فلا يُحيط به وصف واصف أو علم عارف، لا علو مكان أو صفة للإسم،

وعلوه بعلو مسماه.

، وقيل: قل: سبحان ربي الأعلى لمّا نزل:{ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ} [الواقعة:74]

قال ﷺ: " اجعلوه في ركوعكم " فلما نزل: { سبح اسم ربك الأعلى }

قال: " اجعلوه في سجودكم " وكانوا يقولون في الركوع: لك ركعت، وفي السجود: لك سجدت، فجعلوا هذا مكانه { الذي خلق فسَوَّى } أي: خلق كل شيء فسَوَّى خلقه، ولم يأتِ به متفاوتاً غير متلائم، ولكن على إحكام وإتقان،

دلالةً على أنه صادر عن عالم حكيم، أو: سَوَّاه على ما يتأتى به كماله ويتيسّر به معاشه، { والذي قَدَّر فهدى } أي: قَدَّر الأشياء في أزله،

فهدى كل واحد إلى ما سبق له من شقاوة وسعادة، ورزقٍ وأجل،

أو: ما قَدَّر لكل حيوان ما يُصلحه، فهداه إليه، وعرَّفه وجه الانتفاع به،

فترى الولد بمجرد خروجه من بطن أمه يلتمس غذاه، وكذا سائر الحيوانات، فسبحان المدبِّر الحكيم: { الذي أخرج المرعى } أي: أنبت ما ترعاه الدواب غضًّا طريًّا، { فجعله } بعد ذلك { غُثاءً } يابساً هشيماً { أحوى } أسود، فـ " أحوى " صفة لغُثاء، وقيل: حال من المرعى، أي: أخرجه أحوى من شدة الخضرة،

فمضت مدة، فجعله غثاءً يابساً وهذه الجمل الثلاث صفة للرب..

ولمّا تغايرت الصفات وتباينت أتى لكل صفة بموصول وعطف على كل صلة ما يترتب عليها { سنُقرئك فلا تنسى } أي: سنعلمك القرآن فلا تنساه،

وهو بيان لهدايته تعالى الخاصة برسوله ﷺ، إثر بيان هدايته العامة

لكافة مخلوقاته، وهي هدايته ﷺ لتلقي الوحي، وحفظ القرآن

الذي هو أهدى للعالمين، مع ضمانه له والسين إمّا للتأكيد،

وإمّا لأنَّ المراد إقراء ما أوحي إليه حنيئذٍ وما سيوحى إليه

، فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالإقراء،

أي: سنقرئك ما نوحي إليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام،

أو: سنجعلك قارئاً فلا تنسى أصلاً، من قوة الحفظ والإتقان مع أنك أُمِّي

لا تدري ما الكتاب وما القراءة، ليكون ذلك آية أخرى لك.. مع ما في تضاعيف

ما تقرأ من الآيات البينات من حيث الإعجاز، ومن حيث الإخبار بالمغيبات .

وَٱلَّذِيَ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ } * { فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ } * { سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ } *

{ إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ } * { وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ } *

{ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ } * { سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ } * { وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلأَشْقَى } *

{ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ } * { ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا } *

{ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ } * { وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ } * { بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا } *
{ وَٱلآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ } * { إِنَّ هَـٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ } *

{ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ}

قوله تعالى: { سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ }

أي: عظم يا محمد إسم ربك وقيل: معناه عظم ربك الأعلى وكان بعضهم

إذا قرأ ذلك قال: سبحان ربي الأعلى وقد رواه ابن عباس عن النبي ﷺ

وكذلك روى السدي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وقيل معناه: نزه يا محمد اسم ربك أن تسمي به شيئا سواه كما فعل المشركون

من تسميتهم آلهتهم باللات والعزى،

جعلوا العزى مشتقة من العزيز واللات من الله

وقيل: معناه: نزهه عما يقول فيه المشركون كما قال:

{ وَلاَ تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ } [الأنعام: 108]

وقيل: معناه: نزه - يا محمد - تسميتك ربك الأعلى، وذكرك إياه أن تذكره

إلا وأنت خاضع متذلل قالوا: فالإسم هنا موضوع في موضع التسمية،

فوضع الإسم مكان المصدر.

وقيل: معناه: صَلِّ بذكر ربك الأعلى، أي: صَلِّ وأنت له ذاكر.

وقيل: معناه صَلِّ يا محمد لربك.

وقيل: معناه: عظم إسم ربك ونزّهه على أن تنسبه إلى ما نسبه إليه المشركون

وهذا مما يدل على أن الإسم هو المسمى، لأن معناه: سبح الله

وليس يجوز سبحان اسم الله، ولا سبحان اسم الرب،

فَدَّل على أن معنى { سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ } سبح ربك.

وقوله: ٱلأَعْلَىٰ أي: القاهر لكل شيء، العالي عليه.

قال عقبة بن عامر:

لما نزلت: { سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ } قال لنا رسول الله ﷺ: " اجعلوها في سجودكم ولما نزلت: { فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ } قال لنا رسول الله ﷺ:

اجعلوها في ركوعكم.

قال الفراء: " سبح اسم ربك " وسبح باسم ربك " ، كلٌ صواب .

لأنه تعالى لم يأمر نبيه أن يعبد (ويسبح) ويصلي لغيره.

فمعنى: { سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ }: [سبح ربك]، فالإسم هو المسمى،

ولو كان غيره لكانت العبادة لغير الرب سبحانه، والتسبيح لغيره جلت عظمته

ثم قال تعالى: ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ

أي: خلق الأشياء كلها، فسوّى خلقها وعدلها والتسوية: التعديل

ثم قال: وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ

أي: قدر خلقه فهدى الإنسان لسبيل الخير والشر، وهدى البهائم للمراعي

قال مجاهد: " هدى الإنسان للشقوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها

وقيل: معناه: هدى الذكر لإتيان الأنثى.

وقيل: معناه: فهدى وأضل، ثم حذف لدلالة الكلام عليه، ومن شدد { قَدَّرَ } ، جعله من التقدير، فمعناه: قدر خلقه كل مخلوق، [وهداه] إلى مصلحته ودليله: { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً } [الفرقان: 2] فأما من خففه، فإنه جعله من القدرة والملك، (فمعناه):الذي أحاطت قدرته بكل شيء فهدى وأضل ويجوز أن يكون مثل الأول، كما قال:{ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقَدِرُ } الرعد: 26

{ فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ }

أي: فجعله يبساً أسود بعد أن كان ناعماً أخضر " فأحوى " بمعنى: (أسود)، وهو نعت للغثاء

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير " وأحوى " بمعنى: أخضر والتقدير: أخرج المرعى أحوى، أي: أخضر، فجعله غثاء، أي: يبساً فيكون " أحوى "بمعنى: أخضر،

" قال ابن عباس: { غُثَآءً أَحْوَىٰ } ، أي: " هشيماً متغيراً

وقيل: معناه: غثاءً، أي: يبساً تنسفه الرياح فيجري به السيل فصار غثاء للسيول بعد خضرته وغضارته، هذا معنى قول مجاهد وابن زيد

وقال (أبو) عبيدة: { غُثَآءً أَحْوَىٰ } ، أي: [هيجه] حتى يبس

فجعله أسود من احتراقه { غُثَآءً } أي: هشيماً

ثم قال تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ

أي: سنقرئك - يا محمد - القرآن فلست تنساه إلاَّ ما شاء الله أن تنساه

قال مجاهد: كان النبي ﷺ يتذكر القرآن في نفسه

مخافة أن ينسى فأعلمه الله أنه ليس ينسى.

وقيل: { إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ } هو ما أراد الله نسخه فينسيه نبيه فيرفع حكمه وتلاوته، وذلك ما أنزله تعالى على نبيه للصلاح في وقت، وتقدم في علمه

[أنه] سينسيه إياه في وقت آخر.

وقيل: معنى الآية: سنقرئك - يا محمد - فلا تترك العمل بشيء منه إلا ما شاء الله

أن تترك العمل به (مما) ننسخه فنأمرك بتركه فتتركه " ولا " في القولين جميعاً نفي وليست للنهي.

وقال الفراء: فلست تنسى إلا ما شاء الله أن تنساه، ولا يشاء أن ينسى منه شيئاً ومثله عنده:{ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلأَرْضُ } [هود: 107]،

وليس يشاء غير الخلود لهم

وقيل: معنى الآية: إلا ما شاء الله مما يلحق الآدميين.

وقيل: إلا ما شاء الله أن يرفع حكمه ولا يرفع تلاوته

وقيل: المعنى: فجعله غثاء أحوى إلا ما شاء الله أن يناله بنو آدم والبهائم، وينتفعوا فإنه لا يصير غثاء أحوى.

ثم قال: إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ

أي: إنه يعلم ما أظهرته من عملك وما أخفيته، أي: يعلم السر والعلانية

وهذا خطاب للنبي، وأمته داخلة في ما خوطب به.

ثم قال تعالى: وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ

أي: وسنسهلك (يا محمد) لعمل الخير، وهو اليسرى، والمعنى للحال اليسرى،

وهو فعلى، من اليسر.

ثم قال تعالى: فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ

أي: ذكر إن نفعت ذكراك وإن لم تنفع، حذف لدلالة الكلام عليه، مثل: قَدَّرَ فَهَدَىٰ ومثله:{ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم } النحل: 81

وقيل: المعنى أن الذكرى تنفع بكل حال والتقدير:

فذكر إن كنت تفعل ما أمرت به

وقال الطبري: معناه: فذكر عباد الله - يا محمد - عظمته وعظهم،

وحذرهم عقوبته، إن الذكرى لا تنفع الذين آيستك من إيمانهم

ثم قال تعالى: سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ

أي: سيذكر يا محمد من يخشى الله ويخاف عقابه

{ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلأَشْقَى }

أي: ويتجنب الذكرى (الأشقى) يعني أشقى الفريقين من المؤمنين والمشركين

ثم نعته، فقال

{ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ }

وهم الذين لم تنفعهم الذكرى وتجنبوها.

قال قتادة: قوله { سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ }: إنه والله ما خشي عبد قط الله إلا ذكره

ولا والله لا يسكت عبد عند الذكرى زهداً فيها وبغضاً لأهلها إلا شقيّ بين الشقاء

والنار الكبرى: نار جهنم، هي كبرى عند نار الدنيا من شدة حرها وألمها.

وقال الفراء: النار الكبرى: السفلى من أطباق النار

وقوله: ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا

روي أن نفس أحدهم تصير في حلقه فلا تخرج فتفارقه [فيموت]

ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا

وقيل: معناه: لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه وقيل:

أريد به شدة الأمر والعرب تقول للرجل يقع في شدة شديدة أو علة مثقلة

لا هو حي، ولا هو ميت فخوطبوا على ما جرى به كلامهم.

ثم قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ

أي: قد أدرك طلبته وظفر ببغيته من ترك الكفر وعمل بطاعة الله

قال ابن عباس: من تزكى - يعني - من الشرك وعنه أنه جعله في زكاة الفطر

وقال: أخرجوا زكاة الفطر قبل صلاة العيد.

وقال عكرمة: { مَن تَزَكَّىٰ }: من قال: لا إله إلا الله.

قال عطاء: { مَن تَزَكَّىٰ } من آمن.

وقال قتادة: من تزكى بالعمل الصالح والورع.

وقال ابن جريج: من تزكى بماله وعمله.

وقال عبد الله: إذا خرجت إلى الصلاة فتصدق بشيء إن استطعت،

فإن الله يقول: { قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ }

والتزكي - في اللغة -: التطهر

قال عمر بن عبد العزيز وابن المسيب وأبو العالية: هي زكاة الفطر،

ثم نسختها زكاة الأموال.

وقيل: هي سنة، وزكاة المال فرض وعلى هذا أكثر العلماء.

قال ابن عباس: { وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ } أي: ووحد الله سبحانه.

وقيل: معناه: ودعا إليه وصلى الصلوات الخمس.

وقيل: عَني به صلاة العيد وقيل: الصلاة هنا الدعاء.

(وقيل: معناه: وذكر اسم ربه في صلاته بالتحميد والتمجيد)

ثم قال تعالى: بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا

أي: تؤثرون زينتها على الآخرة، والآخرة خير لكم وأدوم نعيما

ثم قال تعالى: إِنَّ هَـٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ

أي: إن هذه الآيات في { سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ } لفي صحف إبراهيم وموسى

وقيل: معناه: إن قوله: { بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا } الآية،

لفي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ

وقيل: معناه إن الفلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصلى،

لفي صحف إبراهيم وموسى

واختار الطبري أن يكون معناه أن قوله: قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ (فَصَلَّىٰ) إلى قوله { وَأَبْقَىٰ } لفي صحف إبراهيم وموسى،

فتكون الإشارة إلى ما قرب من هذا.

تفسير تفسير الجيلاني/ الجيلاني (ت713هـ) *

---

*سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ * ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ* وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ *

*وَٱلَّذِيۤ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ *فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ* سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ *

* إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ * وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ *

* فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ*

سَبِّحِ يا من غرق في تيار بحث زخَّار الوجود، وتلاشى في لمعات شمس الشهود { ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ } [الأعلى: 1] وإن لم يبق لك التوسل بمطلق الأسماء،

بعدما فنيت في المسمى.

ثمَّ تذكر حصة عبوديتك نعمه الواصلة إليك بعدما فزت بخلع البقاء، وتذكيراً استحضاراً لمَّا جرى عليك من الشئون والأطوار في نشأة ناسوتك؛ إذ هو سبحانه القادر { ٱلَّذِي خَلَقَ } وأوجد عموم ما خلق وأظهر { فَسَوَّىٰ } [الأعلى: 2]

خلق الكل بحوله وقوته، مع ما يتعلق به، ويترتب عليه في معاشه ومعاده.

وَ هو { ٱلَّذِي قَدَّرَ } المقادير ودبر التدابير وأحسن التصاوير وأودع فيها ما أودع من الاستعدادات والقابليات الجالبة لأنواع الكمالات، وبعدما عدلها وهيأها

{ فَهَدَىٰ } [الأعلى: 3] أي: هدى الكل إلى ما جبلوا لأجله بوضع التكاليف المشتملة على الأوامر والنواهي، والأحكام الواجبة والمندوبة، والأخلاق المرضية

والآداب السنية؛ ليتمرنوا على الأمور المذكورة ويترسخوا فيها ..

بالعزيمة الخالصة حتى يفيض عليهم طلائع سلطان الوحدة الذاتية المنقذة لهم عن ورطة الناسوت، الموصلة إلى فضاء اللاهوت.

وَ هو سبحانه { ٱلَّذِيۤ أَخْرَجَ } بكمال قدرته { ٱلْمَرْعَىٰ } [الأعلى: 4] أي: أنبت

وأظهر المرعى الحاصل في مرتع الدنيا بأجناسها وأنواعها وأصنافها؛

تتميماً لتربية دواب الطبائع وحوامل الأركان القابلة

لتأثيرات عالم الأسماء والصفات؛ ليتقوموا بها ويستعدوا لفيضان المعارف

والحقائق، وأنواع الكمالات اللائقة التي هم جُبلوا لأجلها.

وبعدما حصل لهم ما حصل من الكمالات المنتظرة في نشأة الناسوت

{ فَجَعَلَهُ } سبحانه مرعى العالم مع كمال نضارتها وبهائها

في نظر شهود أولي الألباب، الناظرين بنور الله من وراء سدل الأسماء والصفات { غُثَآءً } يابساً، بل سراباً باطلاً بعدما تحققوا بمقر التوحيد،

ورفعوا وسائل الأوصاف و الأسماء عن البين،

فصار الكل حينئذٍ هباء { أَحْوَىٰ } [الأعلى: 5] عدماً لا يبقى، أسود موحشاً مظلمّاً، بعدما كان أخضر مُفرحاً.

ثمَّ التفت سبحانه نحو حبيبه ﷺ على سبيل التفضل والامتنال فقال على وجه الوصاية والتذكير: { سَنُقْرِئُكَ } ونجعلك قارئاً مراقباً على وجوه الوحي والإلهام النازل من لدنا عليك، مع أنك أميّ لم يعهد منك أمثالها { فَلاَ تَنسَىٰ } [الأعلى: 6]

يعني: عليك أن تضبط هذه النعمة وتحفظها على وجهها،

وتواظب على أداء شكرها بلا فوت شيء منها وزيادة عليها وتحريف فيها.

"إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ "العليم الحكيم نسيانه منك بأن نسخ تلاوته أو حكمه

أو كلاهما على مقتضى حكمته المتقنة المستحكمة ومصلحته،

وبعدما سمعت يا أكمل الرسل ما سمعت فدم عليها،

ولا تغفل سراً وجهراً، وحالاً ومقالاً عنها.

{ إِنَّهُ } سبحانه { يَعْلَمُ } منك { ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ } [الأعلى: 7] أي: ظاهرك وباطنك؛ يعني: ما امتثلت بظاهرك من مقتضيات الوحي الإلهام،

وبباطنك من الإخلاص في النيات والحالات والخلوص في العزائم والمقامات.

"وَ " اعلم يا أكمل الرسل أنَّا بمقتضى عظيم جودنا معك { نُيَسِّرُكَ } ونوفقك

على التدين والتحفظ بمقتضيات الوحي،

{ لِلْيُسْرَىٰ } [الأعلى: 8] أي: للطريقة السلهة السمحة البيضاء.

وبعدما يسرنا لك وسلهنا عليك طريق الهداية والإرشاد .

{ فَذَكِّرْ } يعني: عظ بالقرآن وبين الأحكام الموردة فيه للناس..

{ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ } [الأعلى: 9] أي: سواء نفعت عظتك وتذكيرك إياهم أو لم تنفع؛ إذ ما عليك إلاَّ البلاغ، وعلينا الحساب.

* سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ * ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ *
* وَٱلَّذِيۤ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ غُثَآءً أَحْوَىٰ * سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ *
* إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ * إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ * وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ *
* فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ *

يا مسبح سبح أولاً لجاري إسمه ربك اشتغل بذكر الله حتى يطهر لسانك

عن الغيبة والكذب والفحش والنميمة وما شاكلها، يستحق أن يكون مسبحاً لله
ولا يمكن حصول تطهير اللسان إلا باسم الرب فلأجل هذا قال في كتابه:

{ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلأَعْلَىٰ } [الأعلى: 1] من أن يجري على لسان ملوث،

والاسم الأعلى هو الله، والذكر الأفضل لا إله إلا الله ولأجل هذا السر

اختار المشايخ الذين عرفوا الطريق على وجه التحقيق ..

وهم طبقة أستاذ الطريقة الجنيد البغدادي - قدس سره – للسالكين

الذين دخلوا في الطريقة، وجاهدوا في تطهير القلب؛

لينزل سلطان ذكر الرب فيه " لا إله إلا الله " ،

وإذا طهرت صورة الذكر صورة لسانك، وطهرت معاني الذكر حقيقة جنانك
عرفت الرب وسبحته حق التسبيح، وعلمت أنه خلقك من العناصر الأربعة
فسواك في أعدل الأمزجة ليصلح أن يكون مركباً للروح الإضافي،

وقدر أقوات القوى الروحانية من نفحات ألطاف الرب،

وأقوات القوى الجسمانية من التدبيرات السماوية النازلة إلى أرض القالب، وهدى كل قوة إلى قوتها المقدرة كما قال في كتابه:

{ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ * وَٱلَّذِيۤ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ } [الأعلى: 2-4]؛

يعني: أخرج مرعى الروح من ثدي الخَفي كما أخرج مرعى الجسم من ثدي البطن

{ فَجَعَلَهُ غُثَآءً } [الأعلى: 5]؛ أي: هشيما مذللاً للأطفال،

ونور البصيرة في سواد الخفي، ولين المعرفة والتربية الجسمانية والروحانية

{ أَحْوَىٰ } [الأعلى: 5]؛ يعني: بحكمته جعل رأس الثديين أسود لأنه أودع نور البصر

في سواد العين، ونور البصيرة في سواد الخفي، ولين المعرفة والتربية في الثديين المصبوغين بصبغ السواد الذي ليس بعده لون في تحقيق هذا السر ..

قرع باب حد القرآن .

{سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ } [الأعلى: 6] يقول الله تعالى للطيفة الخفية: سنقرئك

من بيان الحدود فلا تنسى حقيقة أبد الدهر { إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ } [الأعلى: 7]؛

لأنه حكيم رحيم يعلم أن الأسرار التي هي مدرجة في الحدود لو تكشف على أحد يحترق العقل ويبطل نظام العالم السفلي، { إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ } [الأعلى: 7] إنه يعلم ظاهر القرآن وباطنه، ويعلم قوة ظاهرك وباطنك ،

ومقدراً تحمله معاني الظهر والبطن، فعلى قدر ما تكون قوتك نقرأه عليك

ويثبت في قلبك بحور ما لك طاقة في حملها.

{ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ } [الأعلى: 8]؛ أي: نهون عليك حمل ما أثبت في لوحك وقرأته والعمل به، { فَذَكِّرْ } [الأعلى: 9] القوى القالبية والنفسية، والسرية والقلبية، والروحية والخفية، { إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ } [الأعلى: 9]؛ يعني: إن كنت تذكر

ما قرأت على لوحك فما عليك أن ينفع لهم الذكرى

أو لا ينفع وعليك الوعظ والإبلاغ.

****

تم بحمد الله

8ربيع الأول 1446

11/9/ 2024

إختصار و إعداد .. راجي دعاكم: قدري جاد

إهداء للأستاذ صفوت جيلاني الهرم علي بن أبي طالب